الباب الأول

مقدمة البحث

أ.خلفية البحث

القرآن أساس الإسلام ودستورة. وهو آخر الكتب السماوية أنزل باللغة العربية، وعليه يتوقف دين الإسلام. إنه سبيلنا إلى الفوز العظيم فى الآخرة التى إليها معادنا، وبهداه سنحقق السعادة فى الدنيا التى فيها معاشنا. وهو أساس وجود المصالح الإنسانية، الدينية والدنيوية، وبه –كما نعتقد- حلول كل مشكلات هذه الأمة.

إن الغرض الأساسي فى نزول القرآن هو هدى للناس؛ لما فيه من إرشاد، وإعجاز، وآيات واضحات تفرق بين الحق والباطل [البقرة:185، آل عمران:138/3]، الذي أنزله خالق الأرض[طه:4]. وأنه هو "المعجزة الخالدة" التى تتحدى الأجيال والأمم على مرّ الأزمان ومر الدهور، فلا ريب فى أن هذه المعجزة هى الوحي الذى جاء من عند الله تعالى، والوحي هو كلام الله الذى لابد منه تدبره [ص:29، محمد:24، القمر:17، 22، 32]، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن!، لقوله تعالى : (إنا أنزلنه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) [يوسف:2]. وعقل الكلام لابد منه فهمه، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه لا مجرد

ترتيل ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك،[1] فقوله تعالى : "ليدبروا" [ص:29]، فأخبرنا أنه أنزله للتذكر والتفكر فيه، وخص بالتفكر والتذكر لأهل العقول وهم أولو الألباب.[2]

ولقد أخبرنا الله تعالى صريحا بأن فى القرآن آيات محكمات وآيات متشابهات، فقد قال تعالى : (....منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات...) [آل عمران:7]، ولكن علماء التفسير والتأويل سلفا وخلفا لا يزالون -حتى الآن- مختلفين على أقوال كثيرة فى تحديد المحكمات والمتشابهات من الآيات القرآنية، وذلك لأن الله تعالى لم يحدد حدا فاصلا صريحا بين الآيات المحكمات وبين المتشابهات. فالواقع -حتى الآن- أن العلماء لا يزالون مختلفين فى تفسير الآيات المتشابهات ولو فى تفسير آية واحدة فى القرآن، فمنهم من يقول بأن تلك الآية من المتشابهة و منهم من يقول بعكس ذلك يعني أنها من المحكمة[3]. وليس المراد بهذا البحث هو اكتشاف هذه الاختلافات كلها على التفصيل، بل إنما لاستفاد الحكمة من هذه الأمور الخلافية، وتلك أن علمائنا القدامي يبذلون جهدهم فى تنزيه القرآن الكريم مما لا لائق له؛ لأنه لاريب فى أن مقصودهم فى اختلافهم ذلك تنزيها للقرآن وتعظيما له.

---

[1]. تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، المعروف بابن تيمية، مقدمة فى أصول التفسير، تحقيق الدكتور عدنان، (الكويت، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1391)، ص. 36-37

[2]. المحاسبي، العقل فهم القرآن، تحقيق حسين القو تي، (دار الكندي و دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1402)، ص. 275

[3]. قريش شهاب، Tafsir Al-Misbah، (Lentera Hati :Ciputat, Tangerang، Cet.I، 2000، ج. 2)، ص. 13

ثم بما أوردنا من الاختلافات السابقة يظهر لنا أن الآيات القرآنية لم تزل على صعوبة ادراك معانيها عند عامة المسلمين. فتلك الاختلافات تدعو الى الصعوبة فى استفادة الحكمة وفهم المراد من الآيات القرآنية، حين أمر سبحانه بالتدبر والتذكر فيها، كما أشار إليه الآية :"...ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب"[ص:29]، فإذا كان معنى هذه الآيات المتشابهات هي آيات مشتبهات التى لا يعلم تأويلها إلا الله ، فكيف تكون قلوب المؤمنين وجلت حين ذكرت آيات القرآن لسبب خشيتهم إلى الله؟، أو تطمئن وتسكن قلوبهم وجلودهم إلى ذكر الله؟، كقوله تعالى : (...تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء...) [39: 23]، أي ذلك القرآن الذى تلك صفته هو هدى الله يهدى به من شاء من خلقه. فكانت الآية -إذن- إشارة إلينا بأن الآيات المتشابهات فى القرآن لا تعنى بالخفي أو المشتبه، إنما هي يمكن الاطلاع على علمها،[4] وخص بقدرة اطلاعها أهل العقول وهم أولوا الألباب، كما ذهب إلى ذلك الإمام النووي بأن هذا الرأي هو أصح الآراء، لأن الله تعالى لا يمكن أن يدعو عباده بشئ لا يعرف قصده.[5]

---

[4]. توفيق عدنان ورزال فنغابيان، Tafsir Kontekstual Al-Qur'an، (باندونج: Mizan، الطبعة الرابعة، 1994)، ص. 37

[5]. مجلة AL-INSAN، سنة 2005، الجزء 1، رقم 1، ص. 45

ومن بعض ما اختلف فيه من الآيات المتشابهات هي الحروف المقطعة التى تبدأ بها 29 سورة، وهذا الاختلاف يتفرّق إلى فريقين : الفريق الأول امتنع عن تفسيرها لأنه اعتبرها من الآيات المتشابهات التى لا يعلم تأويلها إلا الله كما ذهب إليه بعض علماء القرن الأول إلى القرن الثالث،[6] بينما الفريق الثانى فسّرها، ويقول : لا يجوز أن يرِد فى كتاب الله ما لا يكون مفهوما للخلق بدليل "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"[محمد:24]، وهذا الرأي جاء به أكثر علماء الكلام[7].

انطلاقا مما اختلف فيه من الآيات المتشابهات ومن بعض فروعها من الحروف المقطعة كان المقصود من هذا البحث هو اكتشاف هذه الاختلافات على سبيل الاجمال ليظهر لنا بأن فى القرآن ما يشتمل على الهدى والحكم والعبر والموعظة والشفاء حتى تتحقق لنا صفات القرآن التى وصف بها القرآن نفسه. فقد قال تعالى: "يا أيها الناس قد جاء تكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين"[يونس:57]، وذلك هو شيء مهم لمعرفة هذا الوحي العظيم -القرآن الكريم- على حقيقته الأكمل كهدى للناس ومبين من الهدى والفرقان. فكل ما يشتمل عليه من الآيات المتشابهات أو الحروف المقطعة ذو معان كثيرة، وفوائد كثيرة

[6]. قريش شهاب، المرجع السابق، ج. 1، ص. 85

[7].حفني محمد شرف، اعجاز القرآن البياني، (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، الكتاب الرابع،1390)، ص. 234

أيضا، وهذا ينسجم بقول الزجاج فيما نقله الشوكاني أنه ذهب إلى أن كل حرف منها يؤدى عن معنى.[8]

ومن المستحسن بعد أن عرفنا مما تقدم من الاختلافات أن نعود فى تحليلها - تفسير الحروف المقطعة- إلى ما هو يقال بأحسن تفسير، وهو الرجوع إلى التفسير الأصيل أي التفسير الأساسي، وهو التفسير الذى يعتمد اساسه على التفسير بالمأثور الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو صحابته الكرام، أو التابعين، ثم ان كتب التفسير من هذا النوع كثير ومن أعظمها كتاب "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لإبن جرير الطبري، وكتاب "تفسير القرآن العظيم" لإبن كثير. وهذه الرسالة العلمية يتجه بحثه الى مقارنة هذين الكتابين فى تفسير الحروف المقطعة الواردة فى فواتح السور.

ومن المعلوم، أن أشهر كتاب التفسير بالمأثور هو ثلاثة كتب وهي : (1). جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبري، (2). تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (3). الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الاندلسي.[9] فكتاب التفسير"جامع البيان فى تأويل آي القرآن" للطبري هو يعتبر مرجعا

[8]. الشوكاني، فتح القدير، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415)، ص. 34

[9].أمير عبد العزيز، دراسات فى علوم القرآن، (بيروت، دار الفرقان ومؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1403هـ)، ص. 174-172

كبيرا وأساسيا لطالب التفسير، حيث إن هذا التفسير شامل للبيان على وجهه الأكمل، يذكر فيه اسناد معنى الآيات إلى ما ذكر عن الصحابة والتابعين، ومع ذلك ذكر فيه التوجيه والاستنباط والترجيح بين الأقوال الواردة فى معنى الآية. وأما كتاب "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، كان بالمرتبة الثانية بعد التفسير الأعظم (تفسير الطبري)، حيث إن هذا التفسير يسلك منهج التفسير بالمأثور كما سلك به الطبري فى منهج تفسيره[10]. فكان العلماء شاهدين على مزايا تفسير الطبري وتفسير ابن كثير حيث إنهم قد أجمعوا الحكم على عظيم قيمة تفسيرهما، فقال النووي : "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وأما التفاسير التى فى أيدى الناس، فأصحها تفسير ابن جرير"[11]. ومثل حال تفسير الطبري، كان تفسير ابن كثير ليس بمعزل عن الإطراء، فشهد على ذلك بعض المفسرين، منهم: السيوطي فى ذيل (تذكرة الحفاظ)، والزرقاني فى (شرح المواهب): إنهما يقولان بأنه لم يؤلف على نمطه مثله.[12]

[10].نفس المرجع، ص. 172-173

[11]. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (مكتبة مصعب بن عمر الاسلامية، الجزء الأول، 1424هـ)،ص. 149

[12]. نفس المرجع، ص. 176

ب.قضية البحث

نظرا إلى البيان السابق من خلفية البحث المذكورة، قدّم الباحث قضايا البحث فيما يلى :

1. كيف رأى الطبري فى تأويل الحروف المقطعة ؟
2. كيف رأي ابن كثير فى تأويل الحروف المقطعة ؟
3. ماهي الفروق والمساوات بينهما ؟

ج. الدراسة السابقة

قد اطلع الباحث على عدد **من** الكتب والدراسات والبحوث التي تتناول هذا الموضوع، وسوف يستعرض منها ما يأتى :

- ومن التصانيف التي ألفت في هذا الموضوع : 1. رسالة في أسرار الحروف التي في أوائل السور القرآنية، لابن سينا، 2. الحروف المقطعة في أوائل السورلأبي سعيد الخادمي[13]. ولا يُبحث فى هذين المصنفين إلا من أسرار الحروف المقطعة ومن تأويلات الحروف المقطعة على وجه العام.
- وأما في الجامعة سونان أمبيل الإسلامية—حسب معرفة الباحث—لم يبحث أي طالب في نفس الموضوع كبحث علمي أو رسالة إلا ما يكاد

[13] http://qrnoor.net

يقارب هذا البحث، وهي: 1. تفسير الآيات المحكمات والآيات المتشابهات مقارنة بين علماء المتقدمين والمتأخرين للبيضاوي، 1995م (Penafsiran Ayat-ayat Muhkamat dan Mutasyabihat, Study Komparatif)، 2. منهج الزمخشري فى تأويل الآيات المتشابهات لسوفارنو، 1995 (Penafsiran Ulama' Salaf dan Kholaf Study Analisa Tentang Metode)، 3. تفسير الآيات المتشابهات عن القيامة عند المفسرين، لخازن، 1996 (Penafsiran Az-zamakhsyary dalam Ayat-ayat Mutasyabihat Penafsiran Ayat-ayat Mutasyabihat Tentang Hari Kiamat Menurut para Mufasir)

د. أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة **من** الأهداف الآتية:

1. المعرفة الدقيقة عن موقف الطبري وابن كثير فى فهم الحروف المقطعة.
2. الفهم الدقيق عن الفروق والمساوات بين رأي الطبري وابن كثير فى تأويل الحروف المقطعة.

ه. منافع البحث

1. من وجهة النظر الأكادمكي، يرجى من هذا البحث أن يسهم بعض الشيئ فى مصادر البحث العلمي خاصة للباحثين عن تفسير الطبري وابن كثير ، حيث أن التفسيرين يعتبران من التفسير بالمأثور.
2. يرجى من هذا البحث أن يكون نافعا للباحثين الآخرين فى بحث رأي الطبري وابن كثير عن الحروف المقطعة.
3. زيادة المعلومات والمصادر المكتبية الاسلامية فى فن التفسير بإندونسيا، خاصة فى المعاهد الاسلامية.

و. توضيح بعض المصطلاحات

وفى هذا الصدد يستعرض الباحث بعض ما كثر استعماله فى هذه الرسالة العلمية من المصطلحات العلمية اكتشافا وتوضيحا وتسهيلا للقارئين فى فهم جميع مضمون هذه الرسالة العلمية :"الآيات المتشابهات (مقارنة بين رأي الطبري وابن كثير فى تأويل الحروف المقطعة)" وتلك المصطلاحات هي :

الآيات : وهي جمع من الآية، أصلها أاية، وقيل آئية كقائلة، حذفت الهموة تخفيفا.[14] والمراد بها الآية القرآنية.

المتشابهات جمع المتشابه : أصله من شبه أي ما له شِبْه وشَبَه وشَبيه، وفيه شبه منه، كما تشابه الشيئان واشتبها.[15]

دراسة : أصله درس فهو دارس الكتاب أي كرر قراءته وفهمه، وهي مصدر درس بمعنى مازال محل مناقشة وتمحيص[16]

مقارنة : مصدر قارن بمعنى قارن الشيئ بالشيئ ، وهو مرادف "وازن" : وازنه به أي "قارن بين الرأيين"[17]

رأي : مصدر رأى وهو ما اعتقده الإنسان ورآه[18]

تأويل : فى اللغة "التأويل" مأخوذ من الأول وهو الرجوع. وفى الاصطلاح هو تفسير الكلام وبيان معناه[19] والمراد به تأويل كلام الله من الآية القرآنية على رأي الطبري وابن كثير .

---

[14].السيوطي، التحبير فى علم التفسير (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى. 1408هـ/1988م)، ص. 17

[15]الزمخشري، أساس البلاغة، الجزء الأول (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى. 1419هـ/1998م)، ص. 493

[16]الزمخشري، نفس المرجع ، ص. 446

[17]الزمخشري، نفس المرجع، ص. 983

[18]جماعة من كبار اللغويين العرب فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، ، ص. 495

[19] حسين الذهبي، المرجع السابق ، ص. 14-15

الحروف المقطعة : وهي حروف التهجي التى وقعت عند فواتح السور، وهي التى وردت فى تسع وعشرين سورة، وهي إما مفتوحة بحرف واحد، أو مفتوحة بحرفين، أو مفتوحة بثلاثة أحرف، أو بأربعة أحرف، أومفتوحة بخمسة أحرف مثل "كهيعص"[20]، والمراد بالموضوع المذكور هي الحروف المقطعة التى ابتدأ بها كل السور.

ز. تحديد البحث

كما ذكر الباحث سابقا أن موضوع هذا البحث هو "الآيات المتشابهات"، غير أن الباحث يحدد البحث فى الحروف المقطعة التى فى أوائل السور فقط، وهو دراسة تحليلية مقارنة بين الطبري وابن كثير فى تأويلها.

ح. منهج البحث

1- نوع البحث

أما نوع البحث، فهي الدراسة المكتبية (*Library Reseach*)، أي البحث عن رأي الطبري وابن كثير فى تأويل الحروف المقطعة بطريقة مطالعة كتابهما أو بمطالعة الكتب الأخرى المتصلة بهذا البحث العلمي.

2- منهج تحليل البحث

[20] محمد التونجي، المعجم المفصل فى الأدب، الجزء الثانى (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م)، ص. 695

أما منهج تحليل البحث المستخدمة فى هذا البحث، فهي الطريقة البيانية-التحليلية (*Deskriptive Analysis*)، وطريقة تحليل المضمون (*content analysis*)، و طريقة المقارنة (*Comparative Analysis*).

الطريقة البيانية-التحليلية (*Deskriptive Analysis*) استخدمت للبيان والكشف لرأي الطبري وابن كثير فى تأويل الحروف المقطعة، وتحليل رأيهما فى هذا المجال. وأما طريقة تحليل المضمون (*Content Analysis*) إنما هي استخدمت لمعرفة رأي الطبري وابن كثير فى تفسير الحروف المقطعة. والطريقة الأخيرة هي الطريقة المقارنة (*Comparative Analysis*) هي التى استخدمت للمقارنة بين رأي الطبري وابن كثير فى تأويل الحروف المقطعة لمعرفة المساوات والفروق بين تفسير الطبري وابن كثير عند تأويل الحروف المقطعة.

3- منهج جمع البيانات و المواد

منهج جمع البيانات فى هذا البحث معتمدا أساسا على الدراسة المكتبية (*library research*).

وأما مصادر البحث منه نوعات :

أ. المصدر الأساسي (Data Primer)، فالمصادر الأساسية التي تصدر منها البيانات لهذا البحث هي : (1) جامع البيان فى تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (2) تفسير القرآن العظيم لإبن كثير، (3) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي

ب. والمصادر الثانوية (Data Skunder) هي كل ماله علاقة بهذا البحث من الكتب والمراجع الأخرى كالبحوث العلمية ونحوها.

ط. خطة البحث

فصل الباحث هذه الرسالة العلمية إلى خمسة أبواب تبين فيها عناصر البحث مفصلا بخطة منظمة فيما يأتى:

الباب الأول : وهو العبارة عن مقدمة البحث المشتملة على خلفية البحث وقضاياه، وأهدافه، ومنافعه، ويشتمل أيضا على المنهج الذى سلكه الباحث في هذا البحث وخطة البحث.

الباب الثاني : يبحث فيه الباحث الآيات المتشابهات وتأويلاتها عند المفسرين، ابتداء من تعريف هذه الآيات المتشابهات وبعض فروعها، خاصة الحروف المقطعة الواردة بين يدي السور.

الباب الثالث : يبحث فيه عن حياة ابن جريرالطبري وابن كثير. ويفصل هذا البحث فى عدة مباحث من ترجمة حياتهما، ومنهجهما فى التفسير.

الباب الرابع : اختص هذا الباب فى المقارنة بين تفسير الطبري وتفسير ابن كثير فى الحروف المقطعة، ويشتمل على رأي المفسرين من الفروق و المساوات بينهما فى تأويل الحروف المقطعة، وتحليل هذه الفروق و المساوات لمعرفة رأيهما فى هذا المجال.

الباب الخامس : الإختتام، وهو يشتمل على نتيجة البحث والإقتراحات، وقائمة المراجع.